13 me Année No. 605

بدل الاشتراك عن سنه
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 5 - 2 - 1945

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٠٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٦٤ — الموافق ٥ فبراير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الشـــجاعة الأدبية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبت مقالي السابق بالرسالة أحيي ذلك الروح الإنساني الكبير الذي رحل عن الدنيا برحيل رومان رولان

وقد كان للأدباء على ذلك المقال تعقيب يشبه الإجماع، ويتفق كله على تحية ذلك الكاتب المظيم. إلا رسالة واحدة ينزع صاحبها منزعاً، يخالف ما سمعت، وما تلقيت من الآراء في رومان رولان، وفيما كتبت عنه. وخلاصتها أن الأوربيين في حاجة إلى أمثال رومان رولان لقدرتهم على العدوان وإيغالهم فيه، ولكننا نحن الشرقيين أحوج ما نكون إلى التربية الحربية التي نعالج بها الضعف المقيم، ونحمي بها الحوزة المهددة، وإننا ينبغي أن نتعلم كل ما يحرضنا على منازلة الأعداء ومقاومة المعتدين، ونترك تلك الرسالة التي يبشر بها رومان رولان وأمثاله، حتى يحين موعد الحاجة إليها بيننا نحن الشرقيين

* * *

رأى فيه شبهة من الصواب، ولكنها شبهة من الصواب وليست بالصواب في اللباب

لأن الأديب المعترض قد التبس عليه الأمر بين مذهب رومان رولان، ومذهب أولئك المفسدين الذين عرفوا في أوربا

الفهــرس

باسم « الضميريين » من قولهم « إن ضميرى يأبى على حمل السلاح ولو دفاعاً عن الأوطان »

فليس رومان رولان من هؤلاء ولا هو ممن ينكرون الحرب حين يفرضها الحق والواجب على المدافعين ، ولكنه ينكر البغضاء فى سبيل الزهو والطمع ، ويرى أن يكون السلاح آخر ما يعمد إليه الإنسان لعلاج أزمات السياسة ، بعد أن تنفد وسائل الحسنى وحيل السلام

وما دام فى الدنيا حرب بغى فالحرب الشريفة مفروضة على الناس لجزاء ذلك البغى ومنعه أن يبلغ مقصده من الغلبة على الآمنين والوادعين . فمن ينكر حرب الإغارة والسطوة لا ينكر حرب المقاومة والدفاع

والفرق عظيم بين من يقول بمنع الحروب وتغليب وسائل السلام ، وبين من يرى الحرب الباغية وينكص عن دفعها ، لأنه لا يميز بين الاعتداء ورد الاعتداء

بل الفرق عظيم بين أولئك « الضميريين » وبين من يحاربون العنف بالحسنى ، لعلهم يخجلون صاحبه ، وينبهون فيه تبكيت الضمير ، ومن هؤلاء غاندى وتولستوى وطائفة من المصلحين الشرقيين والأوربيين هنا وهناك . وإنهم ليقولون بالحسنى ، ولكنهم لا يتخذون الحسنى عدة فى الحروب حين لا مناص من الحروب

ومهما يكن من رأى رومان رولان فى ذلك ، فليس كاتب هذه السطور بالذى يحمد « الدروشة » الضميرية فى هذا المقام ، وأقرب الشواهد على ذلك أننى كنت من دعاة المشاركة فى الحرب وإن كانت لا توجبها علينا معاهدة من المعاهدات ، لأن كفاح الطغيان واجب غنى عن الوثائق والعهود

إلا أن العجيب فى كلام الأديب المعترض قوله : إن دعوة رومان رولان وأمثاله قد يحتاج إليها الأوربيون ولا نحتاج إليها نحن الشرقيين

لأن دعوة رومان رولان قائمة على الشجاعة الأدبية وهى ألزم ما يحتاج إليه الضعفاء بعد عصور الجهل والظلم والفساد

وإن الضعفاء الذين طال عليهم مراس تلك العصور لأحوج إلى الشجاعة الأدبية منهم إلى حمل السلاح . لأن الشجاعة الأدبية تشفى أمراض الفساد كلها وتبدل بها **الصحة والسلامة** والقوة والكرامة ، وليس شىء من ذلك **بمكفول من** حمل السلاح فى أمة تخاف الجهر بالحق ولا تجترئ على **الباطل** ، بل لعل السلاح يصيبها قبل أن يصيب أعداءها ، كما رأينا فى كثير من الدويلات الأوربية والأمريكية والشرقية ، حيث يحمل السلاح ولا تعرف الآراء ولا الشجاعة فى الآراء

قال أبو الطيب :

والعار مضاض وليس بخائف　　من حتفه من خاف مما قيلا

يريد أن الرجل قد يقدم على الموت ولا يقدم على العار ، ويحسب أن العار كله فيما يقوله الناس

فأهون الشجاعات عنده هى الشجاعة على الموت ، ثم يجعل الخوف من العار أكرم من الإقدام على الحمام

لكن الحقيقة أن شجاعة العقيدة أرفع من الشجاعتين بلا مراء ، وإن شجاع العقيدة أكرم من الشجاع على الموت ، ومن الشجاع الذى يموت لأنه يتقى العار ، ويفهم أن العار هو ما يقول الناس إنه عيب ذميم ، وأن الشرف هو ما يقول الناس إنه فضل حميد

أكرم من هذا وذاك من لا يبالى بالموت ولا يبالى بما يقوله الناس إذا اعتقد أنهم مخطئون فيه

ولا شجاعة فى الجرى مع القطيع حين يثور ويعدو فى الطريق الذى تدفعه إليه الغرائز الهوجاء ، ولكن الشجاعة كل الشجاعة أن يقف الرجل أمام ذلك القطيع ثم لا يتخلى عن مكانه حتى يصد القطيع أو يغلب على أمره غير مختار ولا ملوم

وهذه الشجاعة الأدبية التى تعلو درجات على شجاعة الموت وشجاعة العار هى الشجاعة التى نتمثلها فى رومان رولان الذى يقول : « إن الإيمان — وليس النجاح — هو غاية الحياة »

وهى هى التى نحتاج إليها نحن الشرقيين قبل كل حاجة ، ونتحلى بها قبل كل حلية ، ونجتزئ بها إذا كان لا بد من الاجتزاء بفضيلة واحدة من الفضائل تغنى عن سائرها ؛ لأن الأمة التى تحسن أن تجهر بالحق وتجترئ على الباطل تمتنع فيها أسباب الفساد ، أو يكون مجرد اقتدارها على تلك الفضيلة دليلاً لا دليل بعده على امتناع أسباب الفساد

ومن الخطأ البين أن يقال إن التربية الحربية أو التربية العسكرية تخلق الشجاعة حيث لم تخلق في طباع الأمم جيلاً بعد جيل

وأبين ما يكون ذلك الخطأ إذا قيل إن الضعفاء يتعلمون الشجاعة بتلك التربية الحربية في العصر الحديث على التخصيص

ولا نبدأ بالتعليل قبل أن نمهد له بالإشارة إلى الواقع الذي لا جدال فيه

فهذا مثال الفاشية في إيطاليا غني عن الإفاضة في مراجعة المثلات وضرب الأمثال ؛ لأن الفاشية زعمت أنها تبعث النخوة بعثاً جديداً في بقايا الأمة الرومانية القديمة ، وزعم أناس من الشرقيين مثل هذا الزعم فظنوا أن التربية الحربية منذ الصبا الباكر صنعت في الأمة الإيطالية الأعاجيب ، وهي خليقة أن تصنع مثل تلك الأعاجيب في النهوض بعزائم الشرقيين ، وراح بعض الدعاة يحاكونها محاكاة لا ترجع إلى فهم ولا اختبار ، وكل ما كانت ترجع إليه تخيل كاذب ومظهر خلاب

والحق أن التربية الحربية أو العسكرية — كما كانوا يسمونها هناك — كانت أولى بالفلاح في التجربة الإيطالية لو أنها كتب لها أن تفلح في بلد من البلدان

لأنهم كانوا ينشئون الأطفال عليها من الخامسة ، ويتعهدونهم بها إلى ما بعد العشرين . ومضى على التجربة منذ بدايتها نيف وعشرون سنة بدأت قبل الزحف الفاشي على روما وانتهت قبل الزحف عليها بجيوش الحلفاء الديمقراطيين

فماذا أفاد كل ذلك ؟

لقد كان أولئك الجنود الفاشيون أسبق المقاتلين إلى الفرار في ميدان الصحراء وفي ميدان اليونان ، وكانت هذه التربية مجبنة لهم ولم تكن سبيلاً إلى الشجاعة ونهوض العزيمة ، لأن العزيمة والجعجعة قلما تجتمعان

ثم ذهب موسليني — إمام الفاشية — بين عشية وضحاها فلم يسرع إلى نجدته أحد من جنوده في طول البلاد وعرضها سواء ما وقع منها في قبضة الحلفاء الديمقراطيين ، وما بقي منها في قبضة الألمان النازيين ، وجاء المدد حين جاء من هؤلاء ولم يجئه من أبطاله الذين دربهم على نظامه سنوات بعد سنوات

وتعليل ذلك غير بعيد على من يكلف نفسه مؤونة النظر وراء المواكب والصيحات ، لأن الشجاعة خلق من الأخلاق ، وليست نظاماً من النظم المدروسة ، وكل خلق من الأخلاق فلا بد له من الشعور بالتبعة ومن الحرية التي يقتضيها الشعور بالتبعة ، لأنك لا تحمل الإنسان تبعة خلقية وأنت توثق مشيئته بوثاق الطاعة العمياء ، ولا تعوده خلقاً قط ، وهو ماثل التبعة على سواء

وأظهر من هذه العلة البدهية علة الإحجام عن معونة الدولة المدبرة ومن حولها أولئك الأنصار الناشئون على يديها

فإن جنود الفاشية قد نبتوا في حمايتها وقاموا على يديها ، فهي التي تحميهم وهي قوية ، وهم العاجزون أن يحموها يوم تزول عنها القوة . ومن قام على يد فهو يضرب بها ولا يضرب دونها ، ويسقط معها ولا يقيمها بعد سقوطها

وهكذا صنع الجنود الفاشيون بالدولة الفاشية ، وهكذا يصنع أمثالهم بأمثالها في كل زمن وبين كل قبيل

فالتربية على الشعور بالتبعة — أو على الشجاعة الأدبية بعبارة أخرى — هي حاجتنا اليوم نحن المصريين أو نحن الشرقيين على التعميم ، وأمثولة رومان رولان ألزم لنا من أمثولة العسكرية المزعومة التي رأينا قصارى جهدها في تاريخ قريب لا نزال نشهده ، ولا حاجة بنا إلى التاريخ البعيد .

عباس محمود العقاد

أبو العلاء المعرى

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢ —

عبقرية عربية نثرت فبهرت ، ونظمت فعجّبت ، وفكّرت فخيّرت ، وأبدعت وتفننت[١] إذ قالت وألّفت فأدهشت . وعلمُها فى كل فن من فنون اللغة علمُ إحاطة [٢] ، علمُ الحفِىّ [٣] المحيط لا العالم النُّتَفَة [٤] . وإذ لم نر (الأيك والغصون) — وهو نحو من مئة جزء — وغير الأيك والغصون ، ومؤلفات الشيخ كثير [٥] فقد رأينا المطبوعات المعروفات ، واستدللنا بما حضر على ما غاب ، ولم نستبعد ماروى ابن القارح فى رسالته : « الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه ، وباللغة والعروض من الخليل » ووجدنا ابن القارح هذا من المقتصدين حين يقول :

« . . . لقد سمعت من رسائله غقائل لفظ ، إن نعتّها فقد عبتُها ، وإن وصفتُها فما أنصفتُها . وأطربتنى (يشهد الله) إطراب السماع . وبالله لو صدرت عن صدرٍ مَن خزانتهُ وكتبه حوله يقلب طرفه فى هذا ، ويرجع إلى هذا . . . لكان عجيباً صعباً شديداً . ووالله لقد رأيت علماء ، منهم ابن خالويه ، اذا قرئت عليهم الكتب ولاسيما الكبار رجعوا إلى أصولهم كالمقابلين يتحفظون من سهو وتصحيف وغلط . والعجبُ العجيب والنادر الغريب حفظُه لأسماء الرجال [٦] والمنثور كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم . وهذا سهل بالقول ، صعب بالفعل ، من سمعه طمع فيه ، ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه »

وإنى لأقول : إنه لمن النادر الغريب أن يحتاز الأديب عبقرية نثرية ، وعبقرية شعرية ، كما احتازهذا الشيخ : واذا كانت الاجادة لا تتفق فى فنى المنظوم والمنثور معا إلا للأقل — كما قال ابن خلدون — فكيف حال العبقرية ؟ وهذان الشاعران العبقريان أبو تمام والمتنبي لم ترو لنا كتب الأدب والسير من نثرهما الا رسالة قصيرة للأول سطرها البديعى فى (هبة الأيام) ، ورسالة أقصر منها للثانى أوردها ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » . وأما البحترى المسكين[١] . فكان لا يستطيع أن يخط فى النثر سطراً ، واذا خاطب أحداً فى شأن وجه اليه شعرا . قال الشيخ فى إحدى رسائله : « رُوى أن البحترى كان لا يقدر على كَتْب رقعة ، فيجعل المنظوم عوضاً عن المنثور » .

وأليةً محلوفة بالقرآن وإعجازه ، لو أن هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وهم عند ابن الأثير وغير ابن الأثير أشعر العرب « هؤلاء لات الشعر وعزاه ومناته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته[٢] » مشوا فى عُرُض « العروض » المتشعبة ، ومناحى « النحو » المتفرقة المتصعبة ، كما مشى الشيخ ، ونقبوا مثلما نقب ، واستظهروا من مقالات الفلاسفة والمتكلمين ومصنفات الفقهاء وأهل النحَل بعض ما استظهر — لأجبلوا إجبالا [٣] أو غثّ كلامهم أو جاؤا فى القريض قرازيم [٤] . لكن عبقرية الشيخ قوية جنية قد تسيطرت على كل فن ، ولم يسيطر عليها فن ، ولم ينزل نظيمها ونثيرها من عليائهما فى وقت ، ولم تتبدل لها ديباجة أو بهجة .

---

(١) لم يجد أستاذ هذه اللفظة فى « القاموس المحيط » فسارع إلى تخطئتها . وهي في كلام الأدباء الكبار وكلام الأئمة ، وفى كتب اللغة المشهورة مثل الصحاح والأساس ، واللسان والتاج

(٢) علمه علم إحاطة إذا علمه من جميع وجوهه لم يفته منه شيء .

(٣) الحفى : الذى يتعلم الشيء باستقصاء .

(٤) النتفة : الذى ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه . وكان أبو عبيدة يقول فى الأصمعى : ذاك رجل نتفة .

(٥) قالوا : إنها مئتا مجلد .

(٦) رسالة أبي العلاء إلى أبى القاسم بن سبيكة يعزيه بأخيه — تؤيد قول ابن القارح .

---

(١) بكسر الميم . فى « رسالة الملائكة » لأبى العلاء : الفراء قد حكى مسكين بفتح الميم فى كتاب التثنية والجمع . وحكى أبو مسحل منديل فى منديل ، وهذه نوادر لا يطرد عليها القياس .

(٢) ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر » ومن قوله في ذلك فيهم : المذهب عندى فى تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر العرب أولا وآخرا ، وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة وأبو الطيب فان هؤلاء الثلاثة لايدانيهم مدان فى طبقة الشعراء . وروى فى كتابه هذا الوصف الموجز البليغ المرضى فى الثلاثة وهو : أما أبو تمام فخطيب منبر ، وأما البحترى فواصف جؤذر ، وأما المتنبي فقائد عسكر

(٣) اجبل الشاعر : أفحم

(٤) القرزام : الشاعر الدون ، وهو يقرزم شعره يجيء به رديئا .

إذا قال أبو الطيب :

ما به قتـــل أعاديه ولـــكن   يتقى إخلاف ما ترجو الذئاب

فنط ّ وشط ّ وبدت « فاعلن » فى العروض « فاعلاتن »

فى حين أن المتنبىء – كما قال الشيخ – : « كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام ؛ يغيّر الكلمة بعد أن تُروى عنه ، ويفر من الضرورة وإن جذبه اليها الوزن » . (١)

وإذا قال « الوليد » البحترى :

وكأن الأيام أوثر بالحسن (م) عليها يوم المهرجان الكبير (٢)

فـكسر وجاء نقص من الزيادة .

وإذا قال حبيب بن أوس :

بالقائم الثامن المستخلف اتطأدت   قواعد الملك ممتداً لها الطوَل (٣)

فتهور (٤) البيت فى اللغة بـ « اتطأدت » ولم يتطد .

إذا جازف فى اللغة المجازفون ، وطفف المطففون « ويلٌ للمطففين » فعند الشيخ الموازن القسط ، عنده القسطاس المستقيم ، وميزان الصيدلانى (٥) الحكيم .

« موازنُ صدقٍ ، كلُّها غير عائل (٦) »

* * *

نثر أبو العلاء مترسلا ومسجعاً ، فبذ الناثرين فى وقته ومن بعده كلهم أجمعين ، وشمُر فتبدى (٧) فى سماء القريض شمساً

(١) رسالة أبى العلاء إلى أبى الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى .

(٢) يراجع « الموشح » للمرزبانى ، وذكر الشيخ فى رسالته إلى النكتى أن البحترى كسر فى قوله :

ولماذا تتبع النفس منه شيئا   جعل الله الفردوس منه جزاء .

« قلت » : رواية البيت فى ديوانه المطبوع فى بيروت هى .

ولماذا تتبع النفس شيئا   يجعل الله الفردوس منه بواء .

(٣) يراجع « المثل السائر » : النوع الأول معرفة علم العربية من النحو والتصريف

« قلت » فى الديوان المطبوع فى بيروت : « اعتدلت » مكان « اتطأدت » واليقين أن ناسخا قديما أراد إصلاح الكلمة ، ولو اطلع حبيب على ما جاء به هذا الورق أو الناسخ لعج وضج ، وآثر خطأه على هذا الاصلاح ، وأين كلمة من كلمة ؟ . . .

(٤) تهور : انهدم

(٥) الصيدلانى والصيدنانى منسوبان إلى الصيدل والصيدن وهما أصول الأشياء وجواهرها ، والنون للمبالغة « القائق » .

(٦) عائل : مائل .

(٧) تبدى : ظهر ، و « تبدى » بمعنى الظهور فى المفضليات والأصمعيات وحماسة أبى تمام وحماسة البحترى والأمالى ورسالة الغفران وديوان المعانى وكتب كثيرة . ففقدان اللفظة فى مثل اللسان والتاج وسائر المعجمات المطبوعة المشهورة — شىء عجب .

علائية لا تأفل ما كان القرآن ، وكان هذا اللسان المبين (١) .

ولقد أصاب الشيخ وأطاب (٢) حين حاش فى رسائله ودواوينه وكتبه الكلمات الغريبات ، فجمع نادّات شاردات لم نر كثيراً منهن فى معجم من المعجمات . وإن غربيات قديمات نشأن فى « الجزيرة » مع أخوات لهن – لحريات أن يظهرن وأن يعرفن . وقد برع أبو العلاء إذ نصّ تلك الغرائب فى حلل عدنيات (٣) من العبارات كأنهن عرائس قعدن فوق منصات . ولأن تجتاف لفظة غريبة جملة أو بيتاً خير من أن توحَد (٤) . ولكل لغوى فى التصنيف نمط . وإذا أحسن المعرى فقد أجاد ابن سيده ، وأجاد الجوهرى وابن دريد .

* * *

لم يكن الشيخ من العبقريين الملهمين ، بل كان من العبقريين الدارين المدركين ، تعلم واستعلم فعلم ، وسأل واستفهم ففهم . وللقائل الملهم حال ، والدارس حال ، ولذاك وحى ، ولهذا مقال . والوحى لا يحصّل ، ولا يوازيه مؤاز .

وقد استهام الشيخ بلغة العرب ، وكان متمناه فى دنياه أو مرجاه (٥) الأسمى أو مثله الأعلى أن ينبغ فيها وفى علومها

(١) فى كتاب « إحكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور الكلاعى الوزير الأديب الأندلسى » :

« ... وشأن أبى العلاء عظيم ، وحكم نقدة الكلام أنه لم يكن فى صنعة الترسل مثله لا قبله ولا بعده إلا ما كان من أبى الطيب فى الشعر وحده » .

وكتاب « إحكام صنعة الكلام » مخطوطة فى خزانة العلامة الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحى الوزير التونسى

روى صاحب « أوج التحرى » هذه الأبيات الثلاثة للمنازى الوزير الشاعر فى مدح أبى العلاء :

لله لؤلؤ ألفاظ تساقطها   لو كن للغيد ما استأنسن بالعطل

ومن عيون معان لو كحلن بها   نجل العيون لأغناها عن الكحل

سحر من اللفظ لو دارت سلافته   على الزمان تمشى مشية الثمل

(٢) أطاب : جاد بشىء طيب .

(٣) عليه عدنيات : أى ثياب كريمة ، واصلها النسبة إلى عدن ، قول : مرت جوار مدنيات عليهن رياط عدنيات « الأساس » .

(٤) وحد الشىء : صار على حدته

(٥) مرجاه : مصدر ميمى . قال المتنبى :

ما لمن ينصب الحبائل فى الأرض م ومرجاه أن يصيد الهلالا

فى نسخة « ديوان (أبى الطيب المتنبى) الباهر : المحققة التى أظهرها وبحثها العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام :

« جنى : فى الحاشية : سألته عن مرجاه من أين لك ؟ فقال : قلتها بالطبع ثم وجدتها فى شعر الأعشى »

قلت : السائل ابن جنى والمجيب المتنبى : وعندى أنها فى البيت « مرجاه » لا « مرجاة » بوزن مفعاة كما روى وفسر العكبرى فى شرح الديوان . وواو الحال وجزالة الكلام تدفعان مرجاة هنا

فنبغ ، وبلغ حيث بلغ . فهَـوِيّـه [1] هو هـذه اللغة ، وفنونُ زمانه التي شاء عرفانها هُنّ للهوى تبع .

وإذا تمادى الشيخ في إعجابه بالعرب الأقدمين ، وتطرّبه سجعُ محدَثين مسجعين فقلّد، فقد افتن في تقليده واجتهد، فعد في الشعراء والكاتبين من المبدعين . وتذرع أبو العلاء بالله وتحاميده وتماجيده فنظم « اللزوميات » وصاغ أوحاك « الفصول والغايات » والمقاصدُ لغوية لا أُلهانية [2] لا دينية ، وان اشتملت على أشياء منوعات ، ملونات ، مهولات [3] قد بدت مثل « صندوق العجب . . » وما كان يغرب حين يغرب حتى يعمّى مقالة ، ولكن ليعلمن قدرة وبراعة . وكيف يكفر معنى قصده وقد أصحبه شرحَ الغريب من ألفاظه ؟

ومؤلفات الشيخ العبقرية هن بنات القصد والتكلف وبنات الأثرية .

« ... وقد تكلفت في هذا التأليف ـ يعني الشيخ اللزوميات ـ ثلاث كلف ، الاولى أن ينتظم حروفَ المعجم عن آخرها . والثانية أن يجيء رويه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك والثالثة انه لزم مع كل روى فيه شيء لا يلزم من ياء أو تاء أو غير ذلك من الحروف » .

ولو لم يجب الشيخ داعي أثريته ، ويحقق قوله في لاميته ، ويقصد ويتكلف ما كانت أمثال « اللزوميات والفصول والغايات والأيك والغصون » مما عرفناه وحرمنا اياه جهل الجاهلين ، وضلال الصليبيين ، وتترية التتر ، وحوادث الايام [4] ، وما كانت العربية ازدادت ثروة بباهرات عبقريات تباهت بها ، وباهت غيرها من اللغات . وإذا هُجّن في العلم والأدب تكلف الضعفاء العاجزين حين يتكلفون ، فتكلفُ العباقرة القادرين يجل عن كل تعييب أو تهجين

* * *

حرث أبو العلاء القرآن حرثاً [1] عجباً ، وسيط هواه بلحمه ودمه ، واستهداه فهداه ، وذهن أو أدرك من إلهية (الكتاب) وسماويته وسر عربيته الناصعة الصافية ذات الإعجاز ، وبلاغته الخارقة العادة ما أدركه الفصحاء البلغاء من العرب في عهد النبي أو كاد يدرك ذلك . ولا تستقلّنّ هذه الكيدودة . ومصنّفُ الشيخ (تضمين الآى) « وهو إن لم نره فقد سمعنا خبره [2] » يبين أنه بلغ في علم (الكتاب) المبالغ ـ كما يقول الزمخشري ـ ولا يُضمّنُ مثل ذلك التضمين الفائق البديع إلا من خرّجه (القرآن) هذا التخريج المظيم البليغ [3]

---

(١) هويه : محبوبه ، معشوقه

(٢) هـذه نسبة إلى اسم الله عز وعلا إلا أنه وقع فيها تغيير من تغييرات النسب واقتضاب صيغة ونظيرها الرجولية في النسبة إلى الرجل والقياس ألهية ورجلية « الفائق » .

(٣) نقد « المهول » في « تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة » و « ذيل الفصيح » و « شفاء الغليل » وذكرها « المخصص » ج ١٢ ص ١٢٤ وقال : قد جاء في الشعر الفصيح ورواه ، ونقل مقاله وروايته « اللسان والتاج » وفي الأساس : مكان مهول فيه هول . وفي « مجمع الأمثال » : « لا يقرأ إلا آية العذاب وكتب الصواعق » ، قال الميداني : يضرب للمهول .

(٤) في كتاب « أوج التحرى عن حيثية أبي العلاء المعرى » وفي كتاب « إحكام صنعة الكلام » قطع من كتب للشيخ مفقودة تضاعف التحسر على ماضاع

و « أوج التحرى » حققه وصححه الأستاذ الألمعي ابراهيم الكيلاني وكتب مقدمته العلامة الأستاذ محمد سليم الجندي وطبعه المعهد الفرنسي الذي يديره في هذا الوقت العلامة الأستاذ هنرى لاووست

وأما كتابه (إحكام صنعة الكلام) فهو — كما قلت قبل . ..

= مخطوطة في خزانة العلامة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي . وقد أفضل هذا العلامة الكريم المفضال على الأدب بنشر طائفة من « الأحكام » في مصنف « تعريف القدماء بأبي العلاء » الذي جمعه وحققه لجنة من العلماء الأساتذة : مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، ابراهيم الابياري ، حامد عبد المجيد باشراف العلامة الدكتور طه حسين .

يقول صاحب (أحكام صنعة الكلام) بعد أن أورد أربع شذرات من كتاب (القائف) للشيخ :

« ... ولأبي العلاء في كتاب (القائف) احسان مشهور ، وابداع كثير موفور . وهو أكثر من كتاب « كليلة ودمنة » ورقا ، وأفسح طلقا ، واطيب شميما وعبقا ... »

قال صاحب « أوج التحرى » : « ولأبي العلاء ديوان شعر جمعه في الألغاز » وروى مقاطيع منه ثم قال : « وكتاب الألغاز كبير الحجم رتبه على جميع حروف الهجاء مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه » .

(١) في حديث ابن مسعود : احرثوا هذا القرآن وفي (الأساس) : وحرثت القرآن أطلت دراسته وتدبره .

(٢) مقتبسة من البديع الهمذاني ولشبل الدولة في الزمخشري :

زمخشري فاضل — أعجبه زمخشره
كالبحران لم أره — فقد أتاني خبره

(٣) ليس هذا الوصف « البليغ » للقول وحده كما ظن بعضهم . فخطأ ولم يصب . ففي الأساس : أبلغت إلى فلان فعلت به ما بلغ به الأذى والمكروه البليغ . ورواه التاج . وفي الفائق : الخدرى : إن الله حرم الخمر فلا أمت فيها يعني أنه تحريم بليغ وفيه : الطوال البليغ في الطول ؛ والطوال — بتشديد الواو — أبلغ منه . وفيه خطب بلغ — بكسر الباء وفتحها وسكون اللام — أي بليغ وفي الكشاف : « المتين » الشديد القوة ، والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار ، وفيه في تفسير . « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم » ، ومثل ذلك التزيين البليغ .

« ومن يهد الله فهو المهتدى »

بَصَّر الكتاب الإلٰهى المحمدى (أحمد بن عبد الله بن سليمان) بعجائبه وآياته فاستيقن واستبصر ، وارتوى الشيخ من كوثر البلاغة القرآنية فأزهر الكلام العلائىّ ونوّر

نوّر القرآن قولاً فعلا وسما صاحبه فى القائلين
إنما القرآن هَدْىُ الناطقين ، إنما القرآن نور العالمين
غثٌّ قول لم يهذبه (الكتاب)

والقرآن ، القرآن ذلكم الكتاب العجيب المبين ، إنه يراه نابغة الأوربيين الأديب العبقرى العظيم (جان ولفغنغ غوت) قد أُعطى فيه كل مقام حقه ، وأخذ كل معنى من مقاصده لفظه ، كما يراه قوياً ، عظيماً ، سامياً ، متعالياً ، رائعاً ، مهيباً قد خرق العادة ، فلا غرو أن يبلغ أثره فى العالم – كما قال – حيث بلغ .

ألا إن القرآن فى الكلام ، مثل محمد فى الأنام . فإن وجدت
لمحمد خطيراً[1]، أُلفيت للقرآن نظيراً

(١) خطير الشىء مثله « المخصص » وفى اللسان : فلان ليس له خطير أى ليس نظير ، وهذا خطير لهذا أى مثل له فى القدر ، ولا يقال للدون إلا للشىء السرى .

« قل : لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

دعاكم إلى خير الأمور محمد ... وليس العوالى فى القنا كالسوافل
حداكم على تعظيم من خلق الضحى ... وشهب الدجى من طالعات وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله ... أخا الضعف من فرض له ونوافل
وحث على تطهير جسم وملبس ... وعاقب فى قذف النساء الغوافل
وحرم خمراً خلت ألباب شَرْبها ... من الطيش ألباب النعام الجوافل
فصلى عليه الله ما ذرّ شارق ... وما فت مسكاً ذكره فى المحافل[1]

* * *

أبو العلاء « هو جوهرة جاءت إلى الدنيا وذهبت »[2] .

(١) أبو العلاء .
(٢) قال الصفدى فى « نكت الهميان فى نكت العميان » :
« حكى لى عن الشيخ كمال الدين بن الزملكانى أنه قال فى حقه هو جوهرة الخ » .
وفى عينية أبي الفتح بن أبى حصينة المعرى فى رثاء الشيخ :
تنصرم الدنيا ، ويأتى بعده ... أمم ، وأنت بمثله لا تسمح !

علل المجتمع المصرى

للدكتور محمد صبرى

لكل مجتمع علله وآفاته ، ولكننا إذا استعرضنا علل المجتمع الأوربي كانت هذه العلل خاصة بمجتمع قد تهيأت له جميع المشخصات القومية ، وتجلت مظاهر القوة ومظاهر الضعف فيه . أما المجتمع المصري ، فهو مجتمع فى طور الانتقال ، وقد بدأت مرحلة الانتقال هذه منذ بداية القرن التاسع عشر ، ولم تنته إلى اليوم ، فى حين أن شعباً كالشعب اليابانى قطع فترة الانتقال فى سنوات .

فما لاشك فيه ، مثلاً ، أن اللغة قد قطعت شوطاً فى طريق التقدم والدقة والمرونة ، فتركنا السجع والإطناب وما إليهما ، ونحت الكتاب ألفاظاً جديدة ردت إلى اللغة شبابها وبهاءها ، ولكن اللغة لا تزال بعيدة من غاياتها ، ولا تزال فى حالة انتقالية ظاهرة ، كما لا يزال تعليمنا العالى فى الأزهر والجامعة ، وكذلك محاكمنا وقوانيننا مزيجاً من تعاليم القرون الوسطى والعلم الحديث ، كما أن حركتنا النسائية يتجاذبها عامل الرجعية والعزلة والجمود من ناحية ، وعامل الطفرة والمطالبة بإلغاء نون النسوة من ناحية أخرى .

ومعلوم أن كل حركة تتجاذبها عوامل متضادة ، ولا تجد قادة يدفعونها بقوة فى طروق الانتقال والتجديد ، لا بد أن تضطرب فى سيرها ، وأن تتعثر وتتباطأ ويختل نظامها .

وهذا الاضطراب ، أو التردد ، يعتور جميع حركاتنا الاجتماعية ، لأن قادة الرأى مختلفو الأمزجة ووجهات النظر ، ولم نسمع مرة أن مفكرينا وضعوا أساساً ثابتاً لإقامة أى إصلاح ؛ بل يخبط كل منا ، وكل منا مطبوع على الأنانية وحب التفرد والظهور بأنه صاحب المشروع الفلانى ، فيجب أن يسجل التاريخ باسمه — فرداً كان أو حزباً — ذلك المشروع . أما كيف يدرس المشروع ، وكيف ينفذ ، وهل ينفذ دفعة واحدة ، أو على مراحل ، وهل يراعى فى تنفيذه الحال والمستقبل ، وارتكازه على قواعد من البيئة والظروف ، فهذا كله فى المحل الثانى

وها نحن أولاء قد أنشأنا جامعة فؤاد فى القاهرة ، ثم أنشأنا جامعة فاروق فى الإسكندرية ، ونفكر فى إنشاء جامعة ثالثة فى أسيوط دون أن نتأكد من أن أولاها بلغت الكمال كله أو بعضه ، وحققت أغراضها فى خدمة العلم الصحيح . وقد أنشأنا فى إحداها صالة احتفالات بلغت تكاليفها ، فيما يقال ، مائة وأربعين ألفاً من الجنيهات ، بينما يشقى بعض علمائنا وأدبائنا الأعلام فى الجرى وراء القوت اليومى ، ولا يجد بعض طلبة العلم ما يسدون به رمقهم فى بعثة علمية منزهة عن المحسوبية وما إليها .

والواقع أن عللنا وآفاتنا كثيرة نشأ معظمها من الاستعباد وطول عهوده ، وقد أصبحنا وفينا مركب الشعور بالنقص Complexe d' infériorité وهذا واضح جلى فى « معاملات » المصريين والأجانب ، وما بقيت هذه العلة بغير علاج حاسم فستظل « الامتيازات » فى نفوسنا وأخلاقنا وإن تكن قد محيت فى الورق والمعاهدات

وقد أصبحت هذه الحالة مدعاة لليأس والتشاؤم ؛ ففريق من المصريين يقول : إنه لا أمل فى إصلاح هذا الشعب . وفريق من الأجانب ، وعلى رأسهم المؤرخ الكبير جبرائيل هانوتو ، يقولون : إن مصر لا غنى لها عن الأجانب ، وإن مركزها الجغرافى إلى جانب ذلك يفرض عليها قبول سيطرة الدولة التى تهيمن على البحر الأبيض ، أى قبول الاستعباد فى شكل من أشكاله

وقد أخطأ الفريقان فى نظرهم وتشاؤمهم ، ويرجع ذلك الخطأ إلى أنهما قد أصدرا حكمهما على الشعب المصرى باعتباره قد استكمل أداته للكفاح ، وأخذ أهبته وجرب وكبر واستقر ، وبعبارة أخرى قد قطع مرحلة الانتقال وظهرت ملامح شخصيته الثابتة من حسنات وعلل وعورات

ولو أنهما انتبها إلى أن حالة مصر اليوم لا تزال حالة انتقالية ، وأن بعض العلل التى نراها ليست من العلل « المزمنة » ، وقد تكون غريبة عن جوهر الخلق المصرى الصحيح ، وأنها إذا عولجت انتفت عنه ، وزالت كما يزول كل عرض ، أقول لو أنهما انتبها إلى ذلك لفهما أن تشاؤمهما أكبر خطر يتهدد الفكرة الإصلاحية بل وكل فكرة تطمح إلى المثل العليا ، والسير بالبلاد إلى أبعد الغايات .

محمد صبرى

« الرقص الكلاسيكى »

للدكتور محمد مندور

بدا لى أن أكتب عن الرقص ، وذلك أملا منى فى تقويم الأخلاق ، ولقد يلوح هذا غريباً ، فكيف نقوم الأخلاق بالحديث عن الرقص ، ومع ذلك فهذا حق ، فالرقص ونقصد به الإيقاعى والتعبيرى ، لا الرقص الشرقى طبعاً ، يورث من يزاوله من رجال ونساء قوة فى الجسم تحرر النفس من آفاتها

وقديماً حرص سقراط الشيخ على أن يتعلمه ليقلل من قبح جسمه المتبعج ، ويقوى من ضعفه ، فقال لأصدقائه وتلاميذه وقد اجتمعوا يوما بمنزل أحدهم حول غلام يعلم الرقص : « أتضحكون منى لأنى أريد برياضة جسمى أن أتعهد صحتى فأتمتع بأكل هنىء ، ونوم سليم ؟! أتضحكون لأنكم تعتقدون أن شيخا مثلى لن يصاحب مدربا رياضياً إلى الخلاء فيعرى جسمه أمام الجماهير ، بل يقنع بغرفة طعام كهذه التى يكتفى بها هذا الغلام ؟! أتضحكون لأنى سأتدرب فى الشتاء تحت السقف وفى الصيف تحت الظلال إذا اشتدت حرارة الشمس ؟! أم تضحكون لأنى رحت ببطن كبير إلى حد ما فأردت أن أرده إلى حجم معقول ؟! »

وفى هذا يقول شاعر الإغريق أنا كريون . « عندما يرقص الشيخ لا ترى فيه عجوزاً غير شعره ، وأما روحه فلا تزال فتية »

والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح ، وذلك لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم فى الحياة ، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال . وليس من شك فى أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين ، حتى لأحسب أن جانباً كبيراً من ضعف النفوس الذى نشكو منه يرجع إلى الحزن الذى يُنزل الخراب بالقلوب ، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدما . والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل . والحس الذى لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور .

ولو أنك قارنت بين الرقص الشرقى والرقص الغربى لأدركت الفارق بين المشاعر التى يثيرها كل منهما ، فالرقص الشرقى رقص تمرد جسمى ، حركاته زوايا لا منحنيات ، وهو إثارة للغريزة الجنسية فحسب ، وأما الرقص الغربى فإيقاع وتعبير ، وهو فى أصح أوضاعه يستمد إيقاعه من الموسيقى الشائعة فى الطبيعة ، ففيه عنصرا التموج والاستمرار . وليس بخاف أن الحياة كلها تموجات موقعة ، فالصوت والضوء والموج والريح والشجر وأوراقه ، كلها تسير أو تهتز موقعة فى موجات . والحركة دائرة مستمرة حتى فى الجماد حيث ترقص الذرات الكهربائية . والراقص أو الراقصة فى أوروبا لا يخترع حركات وإنما يكتشف حركات ، يكتشف ما هو كامن فى نظام الحياة والوجود ، وإن كان لا يقف عند الإحساس بالطبيعة بل يعدو الإحساس إلى الدرس ، ويروض نفسه على تشرب موسيقاها بالتدريب الطويل المتصل حتى يجيد فهمها فتصبح الحركة تعبيراً عن معانى النفس .

لقد أخذنا نعنى فى الشرق بتثقيف العقول ، ولست أدعى أننا قد نجحنا كل النجاح فى هذا التثقيف ، ولكننى أحسبه شيئاً يذكر إذا قارناه بتثقيف الإحساس . ولقد فطن الناس إلى أن الشىء الرائع فى تربية الإغريق القدماء كان عنايتهم بتنمية حاسة الجمال فى النفوس عن طريق رياضة الجسم ورياضة الروح ، فأفلاطون نفسه قد قصر منهج التربية فى جمهوريته على العلوم الرياضية والموسيقى والرياضة البدنية ، وبذلك يجمع بين تقويم العقل والإحساس والجسم ، ويقيم بين ثلاثتها توازنا هو عماد النفس القوية . ولقد كان الرقص جزءا هاما من رياضتهم ، وذلك سواء أكان حربياً أم فنياً ، ولقد كان المقاتلون لا يسيرون إلى القتال إلا بعد أن يثيروا فى نفوسهم الحماسة والنشوة بالرقص الموقع توقيعاً قويا ، حتى لقد قال إفلاطون بلسان سقراط : إن أكثر الناس تبجيلا للآلهة فى حلقات الرقص هم أشجعهم ضراوة على القتال فى الميادين »

والإنسانية منذ أقدم عصورها لم تعرف الرقص منفصلا عن غيره من الفنون . فمنذ الأزل والناس يجمعون بينه وبين الموسيقى والشعر فى ثالوث فنى يستهوى أفئدتهم . ولربما كان الرقص أقدم هذه العناصر وأكثرها انتشارا ، فالحركة لا ريب قد سبقت اللفظ فى التعبير . وفى الجسم إيقاع عضوى يتحرك لنغمات الطبيعة ، على غير وعى منا . وعند الإغريق القدماء لم يكن الرقص

والغناء والموسيقى مجتمعة مقصورة على مواكب النصر أو ولائم المرح ، بل كانت تكون العناصر الأساسية في التمثيل المسرحي أيضاً . وهم لم يعرفوا تمثيلا يقوم على الحوار والحركة المسرحية فحسب ، فكل مسرحياتهم يتخللها الرقص والموسيقى . وإلى جوار الممثلين تجد دائماً فرقة المغنين وعلى رأسها عازف الناي . ومن كبار مؤلفيهم كسوفوكليس من كان يجيد الرقص والعزف ويشترك فيهما اشتراكا فعلياً . ولقد كان ذلك من مواضع فخارهم ، فتلك فنون كانت تشارك فيها آلهتهم ذاتها ، ولكم من مرة رأس الإله هرميس أو الإله أبوللون بأعلى الأولمب وفي محضر كبير الآلهة زوس جوقات تعزف وترقص لتطرب الآلهة . ولقد جعلوا للرقص ربة ترعاه كما جعلوا للموسيقى والشعر ربات . وليس من شك في أن إقبال الإغريق على الحياة ومحبتهم لها وإمعانهم فيها قد فجر في نفوسهم ينابيع الابتكار والخلق . وليس من شك كذلك في أن عبادتهم للجمال وحرصهم على التناغم والانسجام قد أحيا في نفوسهم معاني البطولة ومثل الأخلاق ومن البين أن أهم صفات العمل الأخلاقي هو جماله المشرق .

ولقد رأت العصور الحديثة نهضة رائعة في فن الرقص بفضل « الباليه » الروسية والسويدية ، وكان للفنان الكبير جاك دالكروز فضل إثراء فن الإيقاع وتحميله أنواعا من التعبير الإنساني العميق . ولكم طرب الأوربيون لرقص نيجنسكي وكارسافينا وإزادورا دونكان ولوى فولر وباڤلوڤا وأرجنتينا . واستهوى الرقص ألباب كبار رجال الفن والأدب . ولقد كانت ازادورا دونكان تلتهب حماسة لفن النحات الكبير رودان ، وكيف كان رودان يعجب برشاقة الحركة وجمالها عند تلك الراقصة الروحية الكبيرة .

ومنذ سنين قليلة كتب الشاعر الفرنسي الشهير بول فاليري حوارا رائعا عن الرقص ، وفيه يقيم توازنا متصلا بين حركات الراقص وحركات الفكر الذهنية ، ولفهم هذه العلاقة دعنا ننصت إلى فقرة رائعة من مذكرات دونكان : « لقد أنفقت أياما وليالي كاملة في « الأتيليه » لأبحث عن رقص يستطيع بحركات الجسم أن يعبر عن الروح تعبيرا إلهيا . ولساعات طويلة كنت أقف ساكنة جامعة يدي إلى صدري ووالدتي ذاهلة من موقفي هذا ، ولكنني انتهيت بأن اكتشفت الدافع الأساسي لكل حركة ، والبؤرة القوية التي تنشد فيها وحدة الأوضاع .

ومدرسة الرقص التقليدية تلقن تلاميذها أن المركز الأساسي للحركة قائم وسط الظهر عند نهاية العمود الفقري من أسفل ، ومن هذا المركز تنطلق حركات الأذرع والأرجل والجذع حرة . ولكنها عندئذ لن تكون غير حرية عرائس من الخشب ، وإن ينتج عن رقص كهذا غير حركات آلية مصطنعة غير جديرة بالروح . والذي كنت أبحث عنه لم يكن مصدر هذا النوع من الحركات ، بل مصدر حركات النفس التي تشيع في الجسد وقد امتلأ ضوءا فتنعكس فيه رؤية مشرقة . وبعد أشهر طويلة من الجهد المتصل ركزت فيها اهتمامي في هذه البؤرة الوحدة لاحظت أنني عندما أنصت إلى الموسيقى تنساب إليّ أشعة وموجات ، تجري في فيض متلاحق نحو منبع الضياء في نفسي حيث تنعكس الرؤية المشرقة . ولم يكن هذا المنبع مرآة نفسي بل مرآة روحي وبفضل إشراق تلك الرؤية كنت أستطيع أن أعبر عن الموجات الموسيقية بحركات راقصة » .

ولا غرابة في ذلك فقد ولدت ازادورا الأمريكية الأصل على شواطيء البحار واعترفت بأن فكرة الرقص لم تأتها إلا من مشاهدة أمواج البحر ، وكان أول رقص لها على إيقاع ذلك الموج . وما من شك في أن للنفوس البشرية إيقاعا يتناغم إيقاع الطبيعة . ولقد قالت تلك الأديبة البارعة « إن الرقص كان موجوداً في نفسها ولكنه نائم فأيقظته »

وما أريد أن أختم هذا المقال دون أن أذكر أحد أساتذتي الفرنسيين وهو لويس سيشان ، وقد كان رجلا جادا على رقة نفسه ، رجلا حي القلب حي الضمير ، وقد تعلقت بتعاليمه فبحثت عن مؤلفاته ، وإذا من بينها كتاب قيم عن الرقص عند الإغريق القدماء ، فدهشت لأستاذ في الجامعة يكتب عن الرقص ، وكنت لا أزال حديث عهد بالشرق وأحكامه ، ولكنني لم أكد أتناول الكتاب حتى وجدته قد صدره في أول صفحة بثلاث كلمات لأفلاطون قالها الفيلسوف عن الشعر ، وأبى أستاذنا إلا أن يطلقها على الرقص ، وهي قوله « شيء خفيف مجنح مقدس »

محمد مندور
المحامي

على هامش النقد :

قصص وأســـاطير

١ — أساطير الحب والجمال ... . . دريني خشبة
٢ — عشاق العرب ... ... كامل عجلان

للأستاذ سيد قطب

(١)

ليس هذا الكتاب « ترجمة » بالمعنى الكامل وليس « تأليفاً » كذلك ، فهو استعراض لهذه الأساطير عند الإغريق ممطلق من التقيد بالنصوص ... ولست أدرى أكان من الخير أن يسلك المؤلف هذا الطريق ، أم أن يسلك طريق الترجمة الدقيقة لأصل من أصول هذه الأساطير أو لبحث حولها أو لتفسير . ولكن وجودها فى المكتبة العربية — على وضع من الأوضاع — هو بدون شك كسب لهذه المكتبة كبير . وقد تلقيتها بفرح ، وعشت معها أسبوعين ؛ كانا فرصة لأن أعاود قراءة ترجمة الالياذة الاغريقية ، والشاهنامة الفارسية ، والرامايانا الهندية ، وبعض الأساطير المصرية . لأعيش فترة من الزمن فى هذا الجو الأسطورى الجميل ، ولأصاحب الطفولة البشرية العذبة . بعض الوقت ، ولتكون لدى الفرصة — على قدر الامكان — لملاحظة الخصائص القومية فى الأساطير والملاحم . وهى أصدق المعايير . لأنها من عمل الشعوب فى الحقيقة لا من عمل الأفراد .

***

وقد أثار وجود هذه المجموعة فى اللغة العربية ، شوقى لأن يوجد لها نظير عن «الأساطير المصرية» ، ومجموعة عن «الأساطير الهندية» . وإن كنت قد سمعت ـ ولم أقرأ ـ عن مجموعة صدرت للأساطير الشرقية

إن لمصر القديمة . مصر العريقة ، مصر الضاربة فى مجاهل الأبد ، النابتة فى جذور التاريخ . إن لمصر هذه أساطير راقية وحياة روحية رفيعة . وقد ثبت بما لا شك فيه أن الاغريق قد تناقلوا كثيراً من هذه الأساطير ، وتسلفوا الكثيرين من الآلهة من هنا من مصر ! وتثقفوا ثقافة مصر الروحية والعلمية والاجتماعية والقانونية ، ثم أقاموا عليها حضارتهم بعد ألف عام .

ولكننا نفتن عن هذا كله ، فلا نلتفت إلى هذه الذخيرة الضخمة التى لا يزال العالم الحى يقبس منها . ففي عصرنا الحاضر يوجد فى أوربا من النحاتين من يقيمون مذاهبهم على أساس الفن المصرى القديم ، ويوجد من رجال الآثار ومن رجال الأدب من يتعمق دراسة الآثار الروحية والدينية لمصر القديمة ، ومن يحيل هذا الزاد طعاما حاضراً شهياً ، يزيد به ألوان المائدة العالمية

أما فى مصر فلا شيء من هذا كله . إنما يكتب المفتونون منا بالحضارة الاغريقية ، فيصورونها حضارة هبطت من سماء الأولمب ، ولم تستق مرة واحدة من نبع النيل . اللهم إلا رجلاً عظيما — عظيما جداً لأنه نجا من هذه الفتنة — هو المرحوم عبد القادر حمزة باشا ، ذلك الذى حاول فى كتابه الخالد « على هامش التاريخ المصرى القديم » أن يكشف لقراء العربية عن هذا الدَّين القديم !

وللشرق على وجه العموم — ولا سيما الهند — ثقافاته العريقة ، ثقافاته الروحية والفكرية . ولكن المكتبة العربية منها خواء . وعندما عثرت على ترجمة مختصرة لرامايانا (مجازفات راما) من « مطبوعات مجلة النفير » أحسست أننى عثرت على شيء نادر ! ليس لدى من مثله إلا القليل . شيء نادر لأنه شرقى . ونحن المفتونين عن مصر وعن الشرق . لا نحفل من هذه الذخائر ما تحفله الأمم الحية فى الغرب ، التى تستنقذ كل ما خلفت البشرية من ثقافات فتحيله غذاء شهياً على مائدتها الحافلة بالشهى اللذيذ !

أفلم يئن لنا أن نعرف أنفسنا كما عرفها العالم المتحضر ؟

إننى لأشعر بفيض من السعادة يوم أجد المكتبة العربية حافلة بالمترجمات من كل ثقافات العالم . على ألا يبقى ركن الثقافة المصرية وركن الثقافة الشرقية كما هما اليوم يعشش فيهما العنكبوت ! ! !

***

يحس القارىء للأساطير الاغريقية أن الحياة المتنزية الوثابة هى الحكم فى هذا الكون العريض ، بينما يحس فى الأساطير المصرية أن العدل والخير والمبادىء الخلقية هى القانون أما الأساطير الهندية فتخيل إليه أن التضحية والصبر والتسامح هى محور الوجود . فإذا اجتازها إلى الأساطير الفارسية أحس أن

القوة والمراسم والنظام هي دعائم الحياة » وذلك على تقارب الهند وفارس في الإسل الآرى القديم » .

وأوضح الأمثلة على هـذه الملاحظات أساطير هرقل ، وأوزريس ، وراما ، ورستم .

فمجازفات هرقل كلها تنفيذ لقضاء أعمى مبعثه نزوة شخصية لبعض الآلهة . ومأساة أوزريس هي تغليب للعدل والخير على الظلم والشر ، وقد وقفت قوى الآلهة في صفه تحقيقاً لهذه المثل العالية .

ومجازفات راما كلها تنفيذ لعهد وواجب الوفاء مهما يكن في سبيله من تضحيات فوق الطاقة البشرية المحدودة . ووقائع رستم كلها تمجيد للقوة الخارقة التي تخضع مع هذا للنظام وتعترف بمراسم السلطان !

تجمع آلهة الإغريق إلى قدرة الآلهة حماقات البشر . قانونها شهواتها . تخبط كيفما قادتها البدوات والنزوات . ويقع الخير في أعمالها كما يقع الشر كأنما هو اندفاع من اندفاعات الحيوية النابضة في الوجود . أما آلهة المصريين فتهدف في تصرفاتها إلى تحقيق مبادىء خلقية وإنسانية قوامها الخير والعدل والفضيلة ..

ألا ما أحوجنا إلى أن تكون أساطير العالم كله بين أيدينا لنعرف حقائق الشعوب ! إن غاندي وصبره وسماحته مثلا ، لا يفهم كما لا يفهم تاجور إلا بعدد من الأساطير الهندية تشرح عناصر النفس الهندية وتفسرها خير تفسير .

***

وشيء آخر يحسه قارىء الأساطير الأغريقيـــة . يحس بالمبادة للطبيعة ، والفتنـة بالجمال ، والنشوة بالحركة . الحركة العنيفة . التي لا تقر ولا تهدأ في اللذة والألم . وفي السعادة والشقاء . والحب والبغضاء ، وبعيش في ذلك الجو المرفرف الطليق الذي هو مزاج من العرائس والجنيات ؛ ومن الفاتن والشهوات ، ومن المكائد والمجازفات . ومن الطبيعة الساحرة الفاتنة الحية الفائضة بالحياة المتجاوبة مع كل شيء في هذا الكون الكبير ! إنها حياة تشوق وتعجب وتثير الحس والوجدان .

ويجب أن أقول : إن الأستاذ دريني خشبة قد أفلح في نقل هذا الجو الحي الفائض بالحيوية ، وأن أسلوبه قد اضطلع بتصوير الحركة التي لا تهدأ في هذه الأساطير . وإن هذا وحده لشيء رائع في حد ذاته .

ولكن ! — وودت ألا أجد لها مكانا فيما اقول . !

لقد قادته رغبة التجويد في التعبير ، والتفخيم في الأسلوب إلى أشياء أود لو تنبـــه لها كل مؤلف . وكل مترجم على وجه خاص :

إن المطلوب في الترجمة — خاصة — ليس هو نقل المعاني والأفكار فحسب ، ولكن نقل الجو الذي تعيش فيه هذه المعاني والأفكار . هذا الجو رهين بطريقة الأداء وبالفاظ الأداء . وفي كل لغة بعض الاصطلاحات وبعض الألفاظ . تعد بضاعة محلية . لاسبيل إلى نقلها من بيئتها إلى أية بيئة أخرى . ذلك أنها تشع جواً إقليميا أو قومياً خاصاً يتمثله الخيال بمجرد نطقها في أي مجال .

هذه الألفاظ وهذه التعبيرات موجودة في اللغة العربية .

وهي تصور جوها بمجرد ورودها . — وهي لحسن الحظ قليلة نسبياً بالقياس إلى معجم اللغة اللغوى والفني — وهي لا تصلح للاستخدام في الترجمة على وجه خاص ، لأنها تعارض الجو الذي يجب نقله ؛ وتعترض الخيال المستغرق في جو خاص بقطعة من الجو العربي البحت الذي لا انسجام بينه وبين ذلك الجو الخاص إن للألفاظ والتراكيب أرواحاً كما لأفراد الإنسان .

وكثيراً ما خيل إلي وأنا أقرأ بعض الترجمات ، أن المترجم يقذف برجل بدوي في زيه الخاص على المسرح بين جماعة من الأوربيين ، فيخل بكل انسجام !

وفي أساطير الحب والجمال شيء من هذا : يتمثل في بعضه استعباد النصوص للمؤلف ، كما تتمثل في بعضه الفتنة بالإغراب . ولا يتسع المجال لاستعراض جميع هذه المواضع فنكتفي ببعض الأمثال :

١ — من الأمثلة على استعباد النصوص ، أن يرد في أسطورة إغريقية وثنية قول أبوللو لابنه : « فسر على دربها تصل إن شاء الله » فطريف هنا ذكر « إن شاء الله » من إلهى إغريقي ودع عنك « سر على دربها » وما تمثله من بيئة صحراوية . وأن يرد كذلك في كلام هذا الإله نفسه : « ولا تنس السماء التي تجرى فوقي لمستقر لهـا » وما فيه من جو قرآني ينقل القارىء من أساطير الإغريق إلى القرآن الكريم . ومثله وصف شارون حارس الجحيم لجهنم كما وصفها القرآن : « لا تبقى ولا تذر ، وإنها أبداً ترمى بشرر كالقصر »

وكثير من هذه النصوص القرآنية ومن مأثورات الشعر العربي والتعبيرات الإسلامية البحتة يتعارض في بعض الأحيان

لامع الجو الأسطورى فحسب ولكن مع الحقائق الموضوعية كذلك أو مع المشاهدات الواقعية . فلست أحسب أن « المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » تمت بصلة إلى أوضاع الجحيم الإغريقى ! ولست أحسب أن الكبش حين يذبح « يُتَلُّ للجبين » كما تلّ إبراهيم ولده للجبين فى القرآن . فالكبش يتل للجنب ، لأنه لا يذبح على طريقة ذبح الإنسان ! ...

ولست أحسب أن عرائس الماء كانت تقول كما قالت نساء امرأة العزيز فى القرآن : « ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » أو أن عجوزاً أسطورية تقول لفتى إغريقى : « ألم تسمع من يقول : « وكم لظلام الليل عندى من يد » وتلك شطرة شعر عربى لم تكن قيلت بعد حتى يسمعها الفتى المسكين ! . . . وهكذا وهكذا من هذه الأمثلة لاستعباد النصوص المؤلف ، واضطراب الجو الأسطورى الإغريقى بما يلقي فيه من ظلال عربية أو إسلامية خاصة لا تتفق مع هذا الجو بحال

٢ — وأما الفتنة بالإغراب فقد ظهرت كذلك فى مواضع كثيرة : فلست أدرى لم تنبذ كلمة المرآة ليوضع مكانها « السنجنجل » ولا كلمة نمش ليوضع مكانها « إران » ولا كلمة الظمأ ليوضع مكانها « الجواد » ولا كلمة الساند لتوضع مكانها « الحسبانات » . كما لا أفهم أن تكون الفتاة الإغريقية « خدلجة » ! ولا جماعة الفتيات « ربربا »

وليس من عادتى أن أقف للأخطاء اللغوية البحتة ولكننى أنبه هنا إلى غلطات قليلة لعل معظمها من أخطاء المطبعة .

ولكم وددت أن يخلص كتاب الأستاذ دربنى من هذا كله ليتم المتاع به فى جوه الإغريقى الأصيل !

(٢)

و « عشاق العرب » إنه هو الآخر ليس « ترجمة » وليس « تأليفاً » ! ولكنه فى هذه المرة مزاج بينهما عن أقاصيص الحب العربى . فلقد عمد الأستاذ « كامل عجلان » إلى بعض أخبار المحبين المبعثرة فى المراجع العربية ، التى لا يتيسر العثور عليها لشبان الجيل ، لأن معداتهم الرقيقة لا تستطيع هضم هذه المراجع الجافة . فصاغ منها قصصاً بأسلوب الحوار . وجعل من الخبر أو من مجموعة الأخبار رواية حب فى فصل أو فصول . فكانت من ذلك روايات : حبابة مع يزيد بن عبد الملك . وزينب مع ابن سلام ومع يزيد بن معاوية . ولبنى مع قيس ثم غادة الهودج مع الآمر بأحكام الله ومع الشاعر ابن ميّاح (فى أربعة فصول)

وأنا أعد هذا العمل خليطا من الترجمة والتأليف فالواقع أننا حين نعرض بعض النصوص القديمة فى أسلوبنا الحديث إنما نقوم بعملية ترجمة من معجم جيل إلى معجم جيل . ومن طريقة عرض قديمة إلى طريقة عرض جديدة . وقد كان هذا القسم من عمل الأستاذ كامل عجلان موفقاً ونافعاً . وهو طريقة من طرق الإحياء لتراث المكتبة العربية .

وأما القسم الثانى فلم يستكمل مداه . ذلك أنه أفرط فى التقيد بالنصوص التاريخية ، فلم يتسع أمامه المجال للخلق الفنى . وإن يكن حين وسّع على نفسه بعض الشيء قد رسم خطوطا موفقة فى ملامح بعض الشخصيات كشخصية « برغش » المهرج فى غادة الهودج . وقد نص هو فى القدمة على أن قصده كان مجرد الإحياء والامتاع بهذا القديم المهجور

فإذا كان معتزما إخراج مجموعة أخرى كما قال فى نهاية الكتاب فوصيتنا إليه أن يخطو خطوة أخرى فيمنى بتصوير الشخصيات الروائية ، وتسجيل الانفعالات النفسية ؛ وألا يكتفى بعرض الحادثة التاريخية ، بطريقة حوارية . ولعله حين يفعل هذا يستغنى عن كثير من الإشارات المسرحية التى كثرت فى كتابه لتهيئة الجو للقارىء . فالحوار يجب أن يستقل برسم هذا الجو بطبيعة ألفاظه الموحية لا بالإشارات المسرحية الخارجية .

وبعد فقد استمتعت بهذه القصص . أنا الذى تستطيع معدتى الخشنة أن تهضم أصولها القديمة . فما أجدر شبابنا الرقيق اللطيف أن يستمتع بها إذ لا مورد له سواها !

سيد قطب

إشهار الرؤوس المقطوعة

في أيام العباسيين

(بقية المنشور في العدد الماضي)

للأستاذ ميخائيل عواد

ثالثاً — رؤوس متفرقة

١ — الرؤوس في مصر

قال المقريزي في كلامه على دار الوزارة الكبرى : « ..... وأخبرني شيخ معمر يُعرف بالشيخ عليّ السعودي ، وُلِد في سنة سبع وسبعمائة . قال : رأيتُ مرّة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة مابقي من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس إنسان كبير ، وعندي أنّ هذا الرأس من جملة رؤوس الأمراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام وزارته للعاضد بعد شاور ؛ فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة ، وصار يستدعي واحداً بعد واحد إلى خزانة الدار ويوهم أنه يخلع عليهم ، فإذا صار واحد منهم في الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكانت دار الوزارة في الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن ..[1] »

ومما حفلت به سنة ٤١٠هـ من الأحداث أن « جرد صاحب مصر جيشاً لقتال صالح بن مرداس صاحب حلب ، وبعث الجيش مع نوشتكين التزبري ، فكانت الواقعة عند شاطىء نهر الأردن ، فاستظهر التزبري وقتل صالحاً وابنه ، وأنفذ رأسيهما إلى مصر ....[2] » .

٢ — الرؤوس في قندهار :

قندهار من بلاد السند . قد وقفنا في بعض أخبار سنة ٣٠٤ هـ ، على أنه « وَرَدَ الكتاب من خراسان يذكر فيه أنه وجد بالقَنْدَهار [1] في أبراج سورها برج متصل بها ، فيه خمسة آلاف رأس في سلال من حشيش ، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً ، في أذن كلّ رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم كل رجل منهم . والأسماء : شُرَيح بن حَيَّان ، خَبَّاب بن الزبير ، الخليل بن موسى التيمي ، الحارث بن عبد الله ، طَلْق بن معاذ السلمي ، حاتم بن حَسَنة ، هانيء بن عروة ، عمر بن علان ، جرير بن عبَّاد المدنيُّ ، جابر بن حُبيب ابن الزبير ، فَرْقد بن الزبير السعديُّ ، عبد الله بن سليمان بن عمارة ، سليمان بن عمارة ، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل ، ابن لسهيل بن عمرو ، عمرو بن حيَّان ، سعيد بن عتَّاب الكنديُّ ، حبيب بن أنس ، هرون بن عروة ، غيلان بن العلاء ، جبريل بن عبادة ، عبد الله البجلي ، مُطَرِّف بن صبح ، ختن عثمان بن عفان (رض) — وجدوا على حالهم إلا أنهم قد جفت جلودهم والشعر عليها بحالته لم يتغير ، وفي الرقاع من سنة ٧٠ من الهجرة [2] » .

رابعاً : الطواف بالرؤوس في الآفاق :

هذا لون آخر من ألوان عرض الرؤوس ، فقد كانت تنصب ببغداد أياماً فوق الأماكن البارزة ثم تحط ، فمنها مايستقر في خزانة الرؤوس ، ومنها ما يرسل به إلى البلدان فيعرض في كل بلد وكورة ، فيكون عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن تسوّل له نفسه الخروج عن طاعة أمير المؤمنين . وكان من هذه الرؤوس :

١ — رأس محمد بن عبد الله :

روى الطبري في حوادث سنة ١٤٥ هـ : « حدثني عيسى

(١) خطط المقريزي (٢ . ٣٠٣ — ٤ ، ٣ مطبعة النيل) .

(٢) المنتظم (٨ : ٤٥) .

(١) كذا وردت في صلة تاريخ الطبري (بفتح القاف وسكون النون وفتح الدال) ، أما في معجم البلدان (٤ : ١٨٣ — ١٨٤ ؛ طبعة وستنفلد) فانها «قندهار : بضم القاف وتسكين النون وضم الدال أيضاً» وهو المشهور .

(٢) صلة تاريخ الطبري (ص ٦٢ — ٦٣ ، طبع ليدن) ، وتجد هذه الرواية في المنتظم (٦ : ١٣٩) .

[بن عبد الله] قال : حدثنا ابن أبي الكرام . قال : بعثني عيسى برأس محمد وبعث معي مائة من الجند . قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على النجف كبرنا . قال : وعامر بن اسماعيل يومئذ بواسط محاصر هرون بن سعد العجلي . فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ما هذا التكبير ؟ قال : هذا ابن أبي الكرام جاء برأس محمد بن عبد الله قال : إيذن له ولعشرة ممن معه . قال : فأذن لي ، فوضعت الرأس بين يديه في ترس .... ، حدثني علي بن صالح ابن ميثم . قال : لما قدم برأس محمد عَلَى أبي جعفر وهو بالكوفة أمر به فطيف به في طبق أبيض ، فرأيته آدم أرقط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق [1] » .

٢ — رأس بابك الخرمي

كان ظهور بابك الخرمي في أيام المعتصم ، وقد اشتهر أمره وذاع صيته وكثر أتباعه ، فهابته أمراء النواحي والأطراف ، وبالغ في القتل والعيث والفساد ، وكان المعتصم يومذاك مشتغلا في بناء سامراء ، العاصمة الجديدة لبني العباس ، فصبر له ، حتى إذا فرغ من هذا الأمر ، سير إليه الجيوش وعليها الأفشين ، فاتصلت الحرب بين الطرفين مدة ، حتى ضاق الأمر على بابك ثم دارت الدائرة عليه فوقع أسيراً هو وأخوه وجماعة من أصحابه ، فجيء به مقيداً مشهراً . قال المسعودي يصف مشهد قتل بابك : « ووجدت في كتاب أخبار بغداد [2] أنه لما وقف بابك بين يدي المعتصم لم يكلمه ملياً ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم أنا عبدك وغلامك ؛ وكان اسم بابك الحسن ، واسم أخيه عبد الله . قال : جردوه ؛ فسلبه الخدام ما كان عليه من الزينة ، فقطعت يمينه فضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك بيساره ، وثلث برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ؛ وقد كان تكلم بكلام كثير رغّب في أموال عظيمة قِبَله ، فلم يلتفت إلى قوله وأقبل يضرب بما بقي من زنديه وجهه . وأمر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب ليكون أطول لعذابه ففعل ، ثم أمر بحزّ رأسه وضمّ أطرافه إلى جسده ، فصلب ثم حمل رأسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر ، وحمل بعد ذلك إلى خراسان فطيف به كل مدينة من مدنها وكورها ؛ لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظيم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة وتبديلها . وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ففعل به اسحق ابن ابراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامراء ، وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصي سامراء ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك ... [1] »

٣ — رأس الحلاج :

للحسين بن منصور الحلاج أخبار غريبة أسهب الكتبة فيها ، حتى إنهم صنفوا كتباً [2] شرحوا فيها دعوته وأعماله وأقواله ويهمنا في هذا المقام خبر رأسه . فقد روى ابن الجوزي في ترجمته للحلاج ، قائلاً : « ... فلما أصبح يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة [سنة ٣٠٩ للهجرة] أخرج ليقتل ... ، وضُرب ألف صوت ، ثم قطعت يده ثم رجله ، وحز رأسه وأحرقت جثته ، وألقي رماده في دجلة .. [3] » .

ثم أشار أبو الفرج إلى مصير رأس الحلاج في حوادث سنة ٣١٠ هـ ، فقال : « وفي يوم الاثنين سلخ ذي القعدة ، أُخرج رأس الحسين بن منصور الحلاج من دار السلطان ليحمل إلى خراسان [4] » .

وعلى هذا فإن رأس الحلاج مكث سنة كاملة ضيفاً على خزانة الرؤوس .

ميخائيل عواد

(١) تاريخ الطبري (٣ : ٢٠٤ — ٢٠٥) .
(٢) أخبار بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ) ، وقد أشار إليه المسعودي غير مرة في مروج الذهب (١ : ١٢ و ٨ : ٢٠٩) .
والمعروف من هذا الكتاب اليوم ، الجزء السادس فقط ؛ فيه خلافة المأمون . وقد عني بنشره « هنس كلر » في ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وترجمه الى اللغة الألمانية

(١) مروج الذهب (٧ : ١٢٩ — ١٣١) .
(٢) لأبي الفرج ابن الجوزي كتاب في أخبار الحلاج . راجع المنتظم (٦ : ١٦٢) .
(٣) المنتظم (٦ : ١٦٤) .
(٤) المنتظم (٦ : ١٦٧) .

هذا العالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

معجزة الأبحاث الروسية

١٢ رجلا يعودون إلى الحياة

أذاعت جريدة برافدا الروسية أن الطب تمكن من إعادة الحياة إلى ١٢ جنديا من ٥١ بعد وفاتهم. وأبرق المراسل الحربى لإحدى الجرائد الاميركية بتفاصيل الخبر، فأيده وتمت هذه العمليات فى خطوط القتال الأمامية، وتحت وابل من قنابل المدافع. فان الأطباء الروسيين يستغلون الحرب الحالية وكثرة ضحاياها ليجروا من التجارب ما يستحيل التفكير فيه فى زمن السلم

ويشرف على هذه التجارب الدكتور نيجوفسكى من معهد الاتحاد السوفياتى للطب التجريبى. فبعد ما ظهر على المصابين جميع علامات الوفاة أجريت معهم تجربة جديدة للتنفس وتغذية أجسامهم بالدم. فدفع الهواء إلى الرئتين مباشرة كما غذى الجسم بالدم عن طريق وريد يؤدى إلى القلب، لا عن طريق شريان

وتقول جريدة برافدا ان التجربة تمت على أساس النظرية القائلة ان الإنسان فى الدقائق الأولى لوفاته يكون قريباً من الحياة، فيتاح إيقاف الموت ان اتخذت الخطوات الموفقة لأعادة القلب والرئتين إلى عملها. وبذلك يستعيد الضغط الدموى بناءه، ويمتنع انحلال الجهاز العصبى.

ويقول الأطباء الذين أجروا هذه التجارب ان خطواتها يجب أن تتم بأقصى سرعة لأن الجهاز العصبى يتعرض لعدة تغيرات يتعذر تصحيحها ان حدثت فى الدقائق الخمس أو الست بعد الوفاة. ولهذا كان من الضرورى أن يكون الطبيب سريع التقدير كثير النشاط فى التنفيذ

ولم تكن هذه التجربة الأولى من نوعها، بل سبقتها عدة تجارب أخرى بلغ عددها ٢٥٠ تجربة أجريت على الكلاب. وتقرر فى نهايتها أن إعادة الحياة ممكنة فى بعض الحالات بواسطة منفاخ يدفع الهواء مباشرة إلى الرئتين، وبنقل الدم فى وريد متصل بالقلب حتى يستطيع الدم تنبيه عضلاته.

وقال الأطباء إن نقل الدم بالطرق العادية ومثله عملية التنفس الصناعى كانتا عديمتى القيمة فى حالة حدوث الوفاة. وقد أثبت هؤلاء الأطباء صحة أقوالهم بعدة محاولات لم تسفر عن أية نتيجة.

وذكرت جريدة برافدا حالة الجندى الروسى الكسندر نوزوف. فانه أحضر إلى مستشفى الميدان بعد ما أطارت قنبلة إحدى ساقيه. وظل فى حالة نزع مدة ١٤ ساعة، كان تنفسه أثناءها غير عميق، وقال الأطباء ان النبض كان ضعيفا جداً يتعذر الإحساس به. استمر الأطباء فى علاجه مدة ١٢ ساعة، فنقلوا اليه الدم، وحقنوه بالكافور والكافيين بدون جدوى. وأخيراً فقدوا كل أمل فى إنقاذه وخصوصاً عندمابدأت أعراض الموت تظهر عليه

وعندئذ تسلمه الدكتور نيجوفسكى ومساعدوه وأجروا عليه تجاربهم. واستعملوا الطريقة الحديثة بنقل الدم الى الوريد بدلا من الشريان فاستعاد القلب تأديته لوظيفته. وفى الوقت نفسه أجريت عملية التنفس الصناعى بدفع الهواء إلى الرئتين مباشرة فتحسنت صحة المريض كثيراً، فأتيح لأحد الجراحين إجراء عملية الساق بدون صعوبة. وبعد يومين استعاد المصاب من القوة ما يكفى لنقله إلى مستشفى فى مؤخرة الميدان

لقاح للسل

أوشكت مشكلة الاصابة بمرض السل أن تصل إلى علاج ناجع بعد تقرير قدمه الدكتوران والاس بروك وربرت داى من مستشفى هوبكنس انهما توصلا الى العثور على اللقاح المضاد للسل. فانهما اكتشفا عدداً من الأحياء الميكرسكوبية فى فأر الحقل البريطانى. وهذه الاحياء من نفس عائلة الميكروبات التى تسبب السل للماشية والطيور وللانسان

وبتطبيق الطريقة القديمة الناجحة التى أدت الى الوقاية من الجدرى الخبيث باستعمال لقاح جدرى الابقار يتوقع العلماء أن يقوا الانسان مرض السل باستعمال قريبه الذى يوجد فى الفيران كمادة لقاح

وأجريت عدة تجارب على حلوف جوينا لاختبار أثر هذا

اللقاح الجديد ، فلوحظ أن عدوى السل تأخرت مدة طويلة كما لوحظ عند ظهور أعراضه أنه لم يكن قاسياً . وتقدمت التجارب مرحلة أخرى لتطبيقها على الانسان فأعلن فى التقارير الطبية ان حقن اللقاح تحت الجلد أو فى الأوعية الدموية فى الانسان لم يؤد الى زيادة وطأة المرض

وتقول التقارير الأخيرة إن نتائج تجربة استعمال لقاح الفيران الوقاية من السل البشرى نجحت تجاربها فى حالات قليلة عرضت فيها القردة للعدوى فلم تصب بالمرض مما شجع الباحثين على الاستمرار فى تجاربهما

من الطباق الردىء

يتجه العلم الآن إلى الاستفادة من كل حاصلات الأرض على أحسن وجه . ويهتم بهذه الناحية علم جديد يطلقون عليه اسم هندسة الكيمياء . فالمواد التى نلقيها ، وخصوصاً النباتية من لحاء الأشجار وغيرها ، تحلل إلى عناصرها الأولية ، وتصنع منها مواد جديدة جيدة لفائدة الإنسان فى الناحيتين الصناعية والغذائية .

ويتنبأ علماء هذا العلم بأن أنواع الطباق الرديئة لن تستعمل لأغراض التدخين ، بل ينتظرها مستقبل أحسن وأخطر ، فيستخرجون منها الشمع والأصباغ وزيوتا لعمل الصابون ، ويستخرجون من البذور زيوت الطباق والنيكوتين ، أما الألياف فتصنع منها لوحات للحوائط

طماطم بدون بذر

توصل أحد الإخصائيين فى الزراعة من جامعة كاليفورنيا من استنبات طماطم بدون بذور داخلها . والمهم فى هذا الاستنبات أنه ينتظر أن يؤدى إلى نتائج كبيرة القيمة فى توليد نباتات أخرى تكون ذات قيمة أكبر ومحصول أوفر وأقل نفقة

ويقول مستنبت هذه الطماطم إنها كانت تمتاز عن مثيلاتها من ذوات البذور بقوتها وكبر حجمها وخصوصاً فى آخر فصل الحصاد

وفى سنة ١٩٤٣ تيسر الحصول على ثلاثة مستنبتات مختلفة من الطماطم الخالية من البذور ، والتى ينتظر عند ما تقدم للأسواق أن تكون غالية الثمن

فى ١٠ دقائق يجدد الاطار

من المشاكل التى يواجهها العالم فى الفترة الحالية الحاجة إلى إطارات المطاط للسيارات ، فإن نشوب الحرب فى الشرق الأقصى حرم العالم من الموارد الطبيعية لهذه المادة الضرورية لأدوات النقل حتى أسرعت الدول إلى صقل صناعة المطاط الصناعى . وكان إصلاح إطارات السيارات من المسائل المعقدة ، يحتاج ترميمها وإصلاحها إلى وقت طويل

ووصل أخيراً أحد مهندسى مصلحة الحرب البريطانية إلى استنباط وسيلة يتاح بها إصلاح الإطارات فى مدة ١٠ دقائق ، فتمتد حياتها إلى ١٠٠٠٠ ميل أخرى . وذلك باستعمال الأليكترونات الكهربائية فى ترقيع الأجزاء البالية من الإطارات فتعيدها جديدة إلى حالتها الأولى . وتضيف هذه الآلة المقدار اللازم من المطاط بطريقة آلية بصرف النظر عن كبر الجزء البالى أو صغره .

فوزى الشتوى



٢ - الجــــارم البرىء

للأستاذ حبيب الزحلاوى

وكنت إلى الريف أبيع سلمى لا أنفق إلا نادراً فى شراء سيجارة أو كوبة شراب أو إرضاء رغبة متواضـــعة ، وإن هبطت المدينة فإنما أهبطها لأدفع ما على من دين لعميلى أو أودع فى المصرف ما يتبقى معى من مال

أخذت أرقام ريالاتى تزداد أسبوعاً بعد أسبوع ، وشهراً بعد شهر ، فصرت أسخو بتحويل عشرات منها لوالدى ولأنيسة

لم يكن شىء فى الوجود يعادل فرحى حينما كنت أقرأ كتاباً وارداً من والدىّ يقول أبى فى ختامه ، « أما خادمتك أنيسة فتهديك السلام وتقبل يدك » .

كنت أغتفر لوالدى تمسكه بعادات أصيلة واعتبارات تقليدية فى كينونة المرأة ، وكنت أطلق أعنة خيالى تجول فى عوالم الرؤى أتصور نفسى ملقى عنـد أقدام « خادمتى » أنيسة أقبل يديها .

أجل ياصاحبى كنت أبعث بكتاب فيه تحويل مالى وألحف فى طلب وصل بالاستلام لأقرأ تحيات رثة ساذجة ولازمة مستحبة لا يحيد والدى عن تسطيرها بالنص الواحـد فى كل كتاب : « خادمتك أنيسة تهديك السلام وتقبل يدك » .

اتقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ وامتدت ألسنتها المحرقة إلى جميع أرجاء العالم القديم ، أما العالم الجديد ، برغم اشتراكه فيها فى الساعة الأخيرة ، فقد راجت أسواقه التجارية وعم الرخاء كل الناس . كنت إن أعجب من شىء فعجبى من أخبار كانت تنشرها صحفنا العربية فى أميركا عن بؤس الناس فى لبنان وموت بعضهم جوعاً ، ولم يكن يخامرنى شك فى أن أنيسة المحبوبة ووالدىّ العزيزين أبعد من أن ينالهم ماينال الناس الذين تكلمت الصحف وأطالت فى وصف حالهم ! .

انقطعت أسباب الاتصال بينى وبين أهلى ، ولكنى كنت أغالط نفسى ، أتعمد المغالطة ، فأرسل الرسائل والتحاويل المالية كالعادة إليهم بدون انقطاع ، وأتهم إدارات البريد بالتقصير فى القيام بالواجب ، وكنت أطمئن إلى المغالطة المستحبة لتحيد بى عن مجابهة الحقيقة . وما كادت أجراس الهـدنة تدق معلنة رجوع الإنسان إلى وعيه وانعتاقه من وحشيته التى لابسته طوال أربعة أعوام ، حتى عقدت العزم على العودة إلى الشرق . عند سفرى إلى أميركا كان الأمل يحدونى ، وقد افتر لى ثغره وابتسم ، فصار حين عودتى منها إلى وطنى يحدونى الشوق والفرح ، فهل ينضحانى يا ترى بأنداء السعادة ؟ كنت فى الذهاب أستحث الباخرة لتصل بى إلى ميدان الجهاد والعمل ، وقد توسلت إليها فى الإياب أن تسرع السير لأصل إلى مقام الحبيبة ، مقر الوالدين ، فهل يلازمنى الحظ فى هذه المرة أيضاً ؟ كان دنو الباخرة من الشرق ينسل خيوطاً من غشاوات غالطت نفسى فى تبين ما وراءها ، ويلقينى فى غبش صبح يتنفس الريب والشكوك ، وكثيراً ما كنت أستيقظ من أحلامى ، أنفض صور الذعر وأطرد الخيالات المرعبة ، ولكننى كنت أتجلد وأبتسم ! . كل شىء فى ميناء الوطن باق على ما كان عليه ، إلا مظاهر مجلوبة ، ورطانة مقتبسة ، يممت المدينة ، لم ألتفت إلى همة ناشطة فى حركة البناء والتعمير ، بل شقت سيارتى طريقها إلى الجبل . صدمتنى مشاهد بيوت خربة وقرى مهجورة ، أما قريتنا « كفر شيما » مسكن الحبيبة أنيسة فقد كانت مثالاً بارزاً للأطلال الدارسة . أين أبى وأمى ؟ أين أنيسة ؟ أسأل الجار ولا جار ، وسألت الناس وإذا بهم غير الناس . جبت الدساكر المتناثرة حول القرية . لجأت إلى دير « القرقفة » إلى القساوسة ، استعنت بالمجاز على التعرف على أهلى وأقربائى ففزت منهم بفيض من الأخبار المرتجلة والأكاذيب المفتعلة ، والحيرة الكبرى ! ؟ ذهبت إلى مدينة « زحلة » أسأل عن أمى وأبى فقيل لى : إنهما رحلا عن المدينة منذ سافرت ! قد يكون الموت اخترم والدىّ الشيخين ، ولكن أنيسة ، الريانة الشباب ، الغريضة الصبا ، هل يقوى الموت اللعين على أن يمد لها يداً ؟ هذا محال

بل المحال هو هذا ! نهض من مكانه وأخذ يتمشى بخطوات واسعة ، ولما عاد إلى مجلسه كنت أتخيل أمارات الهلع ترتسم على محياه فتحل عقدة صبره ، وإذا بجبينه تعلوه مسحة من أمل .

فقال بصوت حازم : لا يستنيم الأمل فى نفسى ولا يهجع . سأرصد الرجاء وأقاوم شبهات اليأس ، وأجد أنيسة . سأجدها لأنى أرى بصيصاً من روحها يشع فى أعماق نفسى ، وأصغى إلى هاتف روحها يدعونى ، إذن سأجدها . استعادتنى أشغالى المتعطلة إلى أميركا ... استغرقتنى الأعمال أو كادت تنحرف بى عن اتجاه بصيص أمل كنت أتطلع إليه . كان خيال « أنيسة » يلازمني دائماً ، فى الفراغ وفى العمل ، ولم أكن أذكر والدى المسكينين إلا قليلاً ، أستنزل عليهما الرحمة أو أكاف قسيساً إقامة صلاة على روحيهما . لم يكن نداء أنيسة آتياً من وراء المجهول ، بل كنت أسمعها وأراها وأحس بها تتقلب على أذرع الوجود ! هل تزوجت ؟ أشقية هى ؟ ! وفى يوم من أيام ربيع عام ١٩٣٧ لج بى لاعج خفى فنازعتنى نفسى ودفعت بى – على رغم منى – إلى العودة إلى الوطن أعيد الكرة فى الاستقصاء والاستخبار . لم أمهل عقلى مهلة ليهدينى إلى الممكنات ويرينى المستحيلات ، بل لبيت الهاتف الخفى وعدت إلى لبنان . وفى صبيحة يوم بينما كنت أصعد الجبل إلى كروم العنب والتين ، إذا بى ألتقى فتاة تحمل سلة على كتفيها مغطاة بورق الدوالى . نظرت إليها فإذا بها وضاحة المحيا ، ساجية الطرف ، مليحة المعارف . استوقفتها فأجفلت . لمحت فى عينيها نور نفس أنيسة . صرخت على رغم منى : أنيسة ، أنت أنيسة ؟ !

وقفت الفتاة مبهوتة تجيل نظرة حيرى من عينين عقيقيتين مغرورقتين بدموع رقيقة وقالت : لست أنيسة يا سيدى ، بل أنا يمنى ، اسمى يمنى .

يمنى ! يمنى من ؟ أين أمك ، من هو أبوك ؟

ألقيت أسئلتى بنبرات سريعة جافة كادت تربك الفتاة ، ولكنى استدركت الأمر بتهدئة اضطرابى فتعمدت الابتسام لأدخل الطمأنينة على نفسها ، فقلت هل لك أن تحدثينى عن والدتك وأين هى الآن ؟ قالت بصوت مختنق : تعيش أنت يا سيدى ! لقد ماتت أمى ومات أبى من زمن بعيد . قلت : أتذكرين صورة أمك وما وصفها ؟ قالت : مات والدى قبل اكتمال وعيى ، وكل ما أعرفه عن أمى أنها ماتت نفساء ، وأنها تدعى أنيسة الخشناوى ، أما أبى فأرمنى لا يحسن أحد نطق اسمه . واستطردت كأنها أحست تشوق إلى الاستطلاع فقالت : إن عائلة بطرس بك قد ضمتنى إليها ، وقد نشأت واستيقظت نفسي بين أولاده وخدامه .

كادت عبارتها فى وصف يقظة نفسها تشغلنى عن غرضى وقد أحسست بعاملين قويين وثبا على وأغارا على مشاعرى : عامل الأمل ، وقد تحقق بلقيا هذه الفتاة التى لا شك أنها ابنة أنيسة ، وعامل نفسانى عائل بيقظة الحب التى استيقظت حين رأيت أمها إلى جانب والدتى ساعة الوداع فى الهجرة الأولى . رافقتها إلى بيت مخدومها ، وإذ كنا فى الطريق كنت ألمح فيها طمأنينة الطفل إلى جوار أمه ، وكانت ، الأفكار ، والصور ، والتخيلات وصراع الماضى والحاضر والمستقبل تتعاقب على ذهنى فتزدحم فيه وتكتظ . طلبت من بطرس بك يد خادمته « يمنى » فلم يمانع فى الطلب بل علقه على رضا زوجته التى كان يعز عليها فقد خادمتها اليتيمة التى لا تليق بمقامى المرموق . لم أدع « يمنى » تشعر طوال أيام الخطوبة أنى كنت أعرف أمها ، وقد غام أو كادت تمحى من ذهنى صور الماضى التى تقمصت وانبثقت متجسدة فى شخص « يمنى » . أخذت أوقظ نفسها وأشعرها ، رويداً رويداً ، بوجدانها الذاتى كإنسان له كامل الحق فى وجوده وحريته فى الحياة . كانت تصغى إلى أقوالى بوعى وتتلقفها بعينيها . صرنا نقرأ الكتب فاندمجت روحها بروحى ، وما عتمت أن تحولت من تلميذة نجيبة إلى فتاة تدرك وتدرى وتتذوق وتتمرد . كم تمنيت مطاولة الزمن لأيسر لها مجال الروح فى حلبة الحياة بدراية وفرح ، وكنت أنسى فوارق العمر وقد ناهزت الخمسين ، وهى تشرف على العشرين . لذلك أسرعت إلى عقد إكليلى وقد تطوع بطرس بك وزوجته أن يكونا « إشبينينا » فى الزواج ، وقد أصرت زوجة بطرس بك على إلباس عروسى « فروة » المشيخة إجلالا لفتاة يتيمة انتقلت إلى مصاف الطبقة العليا .

صمت محدثي قليلاً وقد علت وجهه سحابة غبراء ، ولكن ما لبث حتى أشرق جبينه وقال : جعلت أن أنا الرجل الكهل فاتحة غرام زوجتي الصبية وقلت : أترى تكون بنيتي هذه خاتمة غرامي كما كانت مقدمة كتاب حياتي ؟ كان مجرد هذا الخاطر وقد داهم ذهني ليلة الزفاف ، كافياً لأن يبعث فيَّ حيوية بكراً ، ويدفعني إلى أن آلي على نفسي وقف وجودي وما أملك على زوجتي ابنة حبيبتي . كم تمنيت في ساعات الغبطة والهناءة التي كانت تفيضها زوجتي عليَّ أن تطبق بأصابعها أجفاني فأنام أسعد نومة أبدية ، ولكن سرعان ما كنت أنتفض مذعوراً إذ أتخيل استجابة أمنيتي فأقبض بذراعي القويتين على جسم زوجتي البض اللدن أتشبث به كالطفل ، أتمتم بكلمات متقطعات أغمغمها بلا وعي استحياء منها ومن نفسي اللتاعة . لا تعجب يا صاحبي إذا قلت لك إني كنت أحيا بشخصيتين ، وأعيش بماضيين ، وقد كنت أقوى على صهر روحي في بوتقة لا دخَل فيها ولا زيف ، وعرفت السعادة معرفة حسية ، واستبدلت أنواعاً منها عامة شائعة بنوع لدُني روحي بحت . اذكر يا صاحبي فوارق العمر ، وتنوع الاختبارات ، ولا تنس فواصل العقل ونزعات المشاعر ، ولك أن تقدر بعد هذا أن اضطرابي وخلجات نفسي ووساوسي ليست سوى مجرد أوزان قلقة لرجل شارف الخمسين من عمره ليعيش في جنون العشرين . ضحكت طويلا من الزمن وانتقمت كثيراً منه ! وسخرت من تقديرات أناس يعيشون في الضباب ويقدرون علة في زهرة لم تفتح أوراقها في الربيع ، حاسبين وجوب انطباق علم النبات على عالم الإنسان ، جاهلين النفس وعجائب الغريزة وأسرار الروح ، وقد تفتحت أكمام روحي في غير فصل الربيع . سنحت التفاتة مني فلقيت رفاق الباخرة ، الأميركان الطلعة مشرئبين كأن أعناقهم تمتد إلينا لتسمع آذانهم حديثنا ، وكانت هذه الالتفاتة سبباً لانتشال محدثي من أعماق نفسه . أشعل لفافة وأخذ ينظر إلى حلقات دخانها تفنى في الهواء . لم أكن أجرؤ على مطالبته بإتمام حديثه . أطفأ سيجارته ثم التفت ، فلمحت ابتسامة باكية ترتسم على فمه وقال : انقضى الصيف والخريف ، ثم الشتاء والربيع ، وأنا قابع في داري أرتع بنعم تفيضها عليَّ زوجتي المحبوبة ، مشمولا بعناية خاصة منها ، وكانت كلما طمأنت نفسي بالغبطة تهيئها بغريزتها لغبطة جديدة ،

وهكذا كنت أرى الأوضاع مقلوبة كأني أنا وليست هي الطفل الخليق بالتدليل ! لم أكن زوجاً بل أباً ، ولم تكن لي سوى ابنة معبودة ، وكان هذا الإحساس المختلط يحفزني إلى إشعارها بأني زوج قبل كل شيء ، وكان الحياء يصدني تارة ، وتارة أخرى يدفعني إلى إثبات رجولتي ، وكان يجن جنوني كلما دهمني إحساس تخاذل أو فتور ، إنما الشعور بالتخاذل في مثل هذا الحال يخلق الحركة المنيفة دون وعي . أطلقت السيادة للجسد ، وجعلت العقل خادمه المهمل ، اسمع يا صاحبي لا شيء يجعلنا ننحرف عن سبيل هدى الطبيعة سوى عنعنات العقل ، أليس كذلك ؟ واستطرد . كدت أغرق عند شاطئ الغريزة غير حاسب أنها أوسع وعياً من إدراك الإنسان الحكيم ! أقول لك يا صاحبي إن الغريزة امرأة ، والمرأة إرادة ، والإرادة تحايل على البقاء والخلود ، ولكل هؤلاء غاية واحدة هي « حفظ النسل » وقد تجمعت هذه الإدعاءات وانسجمت متوحدة في ذهني حين همست زوجتي في أذني ، « إنا سنصبح أبوين » . سوف أصبح أباً ؟ يا لجنون السرور ، بل يا للسرور المجنون ! أحقاً يكون لي ولد له لطف الملائكة ولغتهم وصفاء السماء وتفتح الزهرة ؟ إذن سأسميه باسم المرحوم والدي ، سيبقى اسم عائلتنا بعدي إلى الأبد ، ولكن أتراني أعيش حتى أراه رجلا يستعجله الطمع في الاستيلاء على أموالي ؟ سيان عندي ... سأعود إلى العمل ، وأضاعف ثروتي لا لتكون حجاباً بين ولدي والفاقة ، بل سلماً يتوقل عليه ليبلغ قمة المجد الزمني . هذا ما جال في خاطري ساعة وافتني البشرى السعيدة . غدوت يا صاحبي في فردوس من الغبطة والسعادة يرف على خمائلها خيالي الفياض ، وتبدع في زخرفتها وتنميقها تصوراتي . لم أكن ذلك الراعي وقد صدمت هراوته جرة السمن فانساقت أحلامه ، وتلاشت آماله وأمانيه ، بل كنت ذلك المحارب الهمجي الظافر لم يصده النهم عن الأسلاب والسبايا ولم ينتقص الحرص والحيلة من ادخاره استعداداً لحرب مقبلة . عادت إليَّ أطماعي طافرة وتنبهت هواجسي وظنوني ، خلت الأيدي التي تعمل في إدارة أعمالي تنهب خيراتي ، وصور لي شيطان الحرص أن عمالي الأمناء ائتمروا بولدي ليحرموه ما كسبته طوال أعوام الشباب بعرق الجبين وادخرتها له وحده !

(البقية في العدد القادم) حبيب الزحلاوي